الشبهة الحادية عشرة

تدعى حدوث تناقض -بالقرآن الكريم- بين تحريمه للخمر فى الدنيا ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠]، وبين حِلّ الخمر فى الجنة: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴾ [محمد: ١٥].

***

● وفى الرد على هذه الشبهة نقول:

إن الذين لديهم حد أدنى من فقه اللغة العربية يدركون أن وحدة الاسم لا تعنى وحدة المسمى.. فكلمة «اللحم» واحدة، لكنها تدل على أنواع متعددة ومختلفة من اللحوم، بعضها حلال وبعضها حرام.. بعضها طيب وبعضها خبيث.. ولم يقل عاقل إن فى ذلك من التناقض ما يمثل شبهة فى استخدام المصطلح الواحد مع تعدد وتنوع واختلاف المسميات لهذا الاسم الواحد.

وإذا كان هذا جائزا فى عالم الشهادة، وفى مدلولات الأسماء التى تواضع عليها البشر فى اللغات الدنيوية.. فمن باب أولى أن تختلف مسميات الاسم الواحد فى الدار الآخرة عنها فى عالم الشهادة.. ذلك

أن كنه هذه المسميات الأُخروية لا تقاس على نظائرها الدنيوية.. إذ هى مما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.. ومثلها كمثل أسماء الله الحسنى وصفات الكمال والجلال والجمال التى وصف الله بها ذاته، لا يستوى ولا يتطابق كنهها وجوهرها مع ما تدل عليه هذه الصفات عندما يُطلق لفظها على الإنسان.. فعلم الإنسان ليس كعلم الله.. ورحمة الإنسان ليست كرحمة الله.. وعزة الإنسان ليست كعزة الله.. وجمال الإنسان ليس كجمال الله.. وهكذا تتحد الأسماء والألفاظ دون الاتحاد فى المسميات، ودون وحدة الحكم الشرعى فى استعمال هذه المسميات.

وبهذا الفهم وهذا المعيار يكون هناك تباين واختلاف بين الخمر - التى حرمها الله فى الدنيا- والتى تخامر العقل وتغيبه وتحرم الإنسان من نعمة العقل، التى جعلت الشريعة الإسلامية الحفاظ عليها مقصدا من المقاصد الخمسة الضرورية فى هذه الشريعة.. وبين الخمر- التى هى لذة للشاربين- فى الجنة- والمبرأة مما فى خمر الدنيا من آفات، والتى أشارت إلى هذا الملحظ فيها الآية القرآنية الكريمة: ﴿ **إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) أُوْلَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ (٤١) فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ (٤٢) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٤٣) عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ (٤٤) يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (٤٥) بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ (٤٦) لا فِيهَا غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ** ﴾ [الصفات: ٤٠-٤٧].

فوحدة اسم الخمر لا تعنى وحدة مُسمى هذا الاسم. . كما أن وحدة اسم «اللحم» لا تعنى وحدة الطبيعة ولا الحكم فى اللحم الطيب والحلال وفى لحم الخنزير المحرم والخبيث.

ومن باب أولى عندما يتحد الاسم ويختلف المراد به فى عالم الشهادة عنه فى عالم الغيب والنعيم المقيم.

●●●

obeikandl.com

الشبهة الثانية عشرة

تدعى وجود تناقض -بالقرآن الكريم- بين «النهى عن إيذاء الكفار»: ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٨]. . وبين «الأمر بقتل الكفار».

وتسوق هذه الشبهة عددًا من الأمثلة التى توهمت حدوث هذا التناقض فيها.

***

● وفى الرد على هذه الشبهة نتناول أمثلتها واحداً واحداً:

١- فى المثال الأول: تدعى هذه الشبهة حدوث التناقض بين آية الأحزاب: ٤٨ ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾. . وبين آية الأنفال: ٦٥ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾.

وهذا الوهم والتوهم بوجود تناقض بين هاتين الآيتين شاهد على الجهل والتخليط. . فالآية الأولى لا تنهى الرسول ﷺ عن إيذاء المشركين والمنافقين، وإنما تنهاه عن المبالاة بإيذائهم له!!. . فأصحاب هذه الشبهة عجزة حتى عن فهم معنى هذه الآية وعجزة عن فهمها فى السياق الذى جاءت فيه!. . وتلك مصيبة كبرى فى الجهال الذين. . يتصدون -بالنقد- لنبأ السماء الذى نزل من لدن حكيم عليم.

أما آية الأنفال: ٦٥. وغيرها من الآيات القرآنية التى جاءت فى الإذن بالقتال أو الأمر به أو التحريض عليه، فإنه يجب قراءتها جميعًا فى إطار القواعد الكلية الحاكمة لموقف الإسلام من القتال.. وفى إطار السياق الذى جاءت فيه كل آية من هذه الآيات.. وفى ضوء المقاصد التى تغيتها هذه الآيات..

لقد بدأ حديث القرآن الكريم عن القتال عندما «أذن» به للمؤمنين المظلومين، ليس عدوانًا على المشركين الذين ظلموا المؤمنين وفتنوهم فى دينهم وأخرجوهم من ديارهم، وإنما دفعًا لعدوان هؤلاء المشركين الذين لم يكتفوا بهذا الذى اقترفت أيديهم، وإنما زحفوا من مكة لملاحقة المظلومين الذين فروا بدينهم من مكة إلى المدينة!.. ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾ [الحج: ٣٩- ٤٠].

فالإذن بالقتال إنما حدث ليصد المؤمنون عدوان المشركين الذين فتنوهم فى دينهم بكل وأبشع ألوان العذاب، والذين أخرجوهم من ديارهم وأموالهم..

وعندما تطور هذا «الإذن» بالقتال إلى «التحريض» عليه، فى مرحلة تالية من مراحل الصراع، جاء ذلك فى الحديث -بسورة الأنفال- عن غزوة

بدر سنة ٢هـ، التى زحف فيها المشركون من مكة إلى المدينة -دار الهجرة- يريدون تدمير الدولة الإسلامية الوليدة، وإبادة الجماعة المؤمنة بالإسلام.. وعندما يزحف جيش المشركين على دار الإسلام لقتل أهلها، فمن الطبيعى -والواجب- أن ينزل القرآن ليحرض المؤمنين على القتال، دفاعًا عن أنفسهم ودارهم ودولتهم ودينهم.. فكانت الآية التى توَّهم أصحاب هذه الشبهة تناقضها مع ترك الأذى وعدم المبالاة به!: ﴿**أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ**﴾ [الأنفال: ٦٥].

فالتحريض -هنا- على القتال هو تحريض على الدفاع عن النفس والوطن والدين، وليس تحريضًا على العدوان.. ولذلك، فإن القتال هنا ليس نقيضًا لترك إيذاء الغير، وإنما هو لدفع الأذى!.

ثم -وهذا هام فى فهم هذا الباب من أبواب التشريع الإسلامى- أنه لا بد من قراءة كل الآيات القرآنية التي نزلت في القتال فى ضوء القاعدة القرآنية الحاكمة والمحكمة: ﴿**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ [البقرة: ١٩٠].

فالقتال -فقط- للمقاتلين والمعتدين.. والعدوان منهى عنه.. لأن الله لا يحب المعتدين..

وفى تقرير وتأكيد هذه القاعدة التشريعية الحاكمة والمحكمة وردت العديد من الآيات القرآنية.. ومنها: ﴿**فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ**﴾ [البقرة: ١٩٤].

بل إن القرآن الكريم يذهب إلى تزكية الصبر بدلا من العقاب: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ (١٢٦) وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٦-١٢٨].. تلك هى فلسفة التشريع القرآنى الحاكمة لكل ما نزل فيه عن القتال:

القتال: مكروه.. ومفروض، لرد عدوان الفتنة فى الدين والإخراج من الديار.. والعدوان فيه محرم.. واللجوء إليه مُقَدَّر بالقدر الذى لا مناص منه: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].. ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤].. ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦].

٢- أما النموذج الثانى -فى هذه الشبهة- فهو توهم أصحابها وقوع تناقض -بالقرآن الكريم- بين «النهى عن الإكراه فى الدين»: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦] وبين ما توهموه تشريعًا قرآنيًا للإكراه فى الدين: ﴿فَإِنِ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:١٩٣].

وهو -فى الحقيقة- نموذج للجهل النابع من انتزاع كلمات القرآن الكريم من سياقها، وتحميلها معانى لا تتسق مع هذا السياق.. فآية

﴿لا إكْراهَ فِي الدِّينِ﴾ إنما تمثل قاعدة حاكمة ومحكمة، ليس فى «النهى» -فقط- عن الإكراه فى الدين» وإنما -أيضًا - فى «نفى» حدوث التدين الحق والصحيح مع الإكراه!.. ذلك أن الإيمان الإسلامى هو اعتقاد قلبى يبلغ مرتبة اليقين.. ولأنه قلبى، فحدوثه وتحصيله بالإكراه مستحيل، إذ الإكراه يثمر نفاقًا، ولا يثمر إيمانًا بأى حال من الأحوال.

وليس هناك أدنى تناقض بين هذه الآية -التى تمثل قاعدة حاكمة ومحكمة- وبين آية: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣].. فمعنى هذه الآية- الذى لا يخفى على صبى يحفظ القرآن فى الكُتَّاب- هو أن القتال هنا إنما شُرع لمنع الفتنة فى الدين، أى لمنع الإكراه فى الدين ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ...﴾ ومنع الفتنة فى الدين، يجعل الإيمان الدينى خيارًا حرا لا يشوبه الإكراه.. ويجعل الإيمان الدينى خالصا لله، وليس نفاقًا يثمره الإكراه.

ويزيد هذا المعني وضوحًا -إذا افترضنا حاجته إلى مزيد إيضاح- السياق الذى جاءت فيه الآية.. فالقتال هنا دفاعى، لرد عدوان المشركين المعتدين المقاتلين للمسلمين، كى يفتنوهم عن دينهم، وليس قتالا للإكراه فى الدين: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ

يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (١٩١) فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٩٢) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (١٩٣) الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠- ١٩٤].

إنه قتال دفاعي، فرضه عدوان المشركين وقتالهم للمؤمنين، وفتنتهم لهم فى دينهم -وهى أشد من القتل- . . والغرض من هذا القتال الدفاعى هو رد العدوان، وتحرير الضمائر كى تختار الإيمان خالصًا لله ومتحررًا من أى إكراه. .

تلك هى المعانى الواضحة لهذه الآيات، والتى لا يخطئها فهم صبى يتلوها فى كُتّاب! . . وإن جهلتها أو تجاهلتها «أفهام» الذين أجهدوا أنفسهم وأجهدوا الحقيقة فى الجرى وراء سراب حسبوه تناقضات بين آيات القرآن الكريم! .

٣-و نموذج ثالث: لما حسبه أصحاب هذه الشبهات تناقضات بين آيات القرآن، قالوا إنه واقع بين آية [البقرة: ٢٧٢] ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ ، وبين آية التوبة: ٢٩ : ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ .

ولقد زعم أصحاب الشبهات أن الآية الأولى تطلب بذل الأموال لغير المسلمين، بينما تطلب الثانية أخذ الجزية منهم.

والحقيقة أنه لا علاقة- ومن ثم لا تناقض- بين هاتين الآيتين..

فالأولى تقرر أن الهدى هدى الله.. ومن ثم فلا مبرر للأسى على الذين اختاروا واستحبوا الضلالة على الهدى.. والإنفاق الذى تتحدث عنه هذه الآية ليس بذل الأموال للكفار الذين اختاروا الضلالة على الهدى -كما فهم أصحاب هذه الشبهات- وإنما هو إنفاق الصدقات الإسلامية فى مصارفها المحدودة- ومنها مصرف الفقراء الذين تحدثت عنهم الآية التالية: ﴿**لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة: ٢٧٣].

فبذل الأموال -الذى تتحدث عنه آية [البقرة: ٢٧٢]- هو للفقراء الذين حدد القرآن لهم نصيبًا فى الزكاة- وليسوا المشركين.

أما آية الجزية، فهى قد نزلت فى غزوة تبوك -رجب سنة ٩ هـ- تتحدث عن الروم الذين قهروا الشرق لعشرة قرون، واضطهدوا النصرانية الشرقية بمذاهبها المختلفة - وخاصة الآريوسية الموحِّدة..

ثم إن هذه الجزية -التى هى نظام قديم فى الحضارات السابقة على الإسلام- لم يجعلها الإسلام- كما كانت سابقًا- ضريبة عامة بديلة عن الإيمان بدين الإسلام، وبسبب المغايرة الدينية.. وإنما جعلها المسلمون

بدلا من الجندية والانخراط فى الجيش ودفع ضريبة الدم حماية للوطن والأمة.. ولذلك، فهى لا تجب إلا على القادرين على حمل السلاح، والقادرين ماليًا على دفعها.. ولا تجب على النساء ولا الأطفال ولا المرضى ولا كبار السن ولا الفقراء ولا على الأحبار والرهبان- الذين تفرغوا للحياة الروحية..

ولو كانت الجزية بدلا من الإسلام، لوجبت أول ما وجبت على رجال الدين غير المسلمين، ولوجبت على سائر من لم يؤمنوا بالإسلام.

وفى كل مراحل التاريخ الإسلامى، سقطت الجزية عن غير المسلمين الذين انخرطوا فى الجيش وفى سلك الجندية والدفاع عن الوطن، وعن الذين قدموا خدمات عسكرية للجيش الذى يحرس الوطن المشترك والرعية المتعددة الديانات..

فليست الجزية نقيضًا للإنفاق الإسلامى.. كما أن الإنفاق الذى تحدثت عنه آية [البقرة ٢٧٢] ليس بذلا للأموال الإسلامية لغير المسلمين.

أما برّ المسلمين بالمخالفين لهم فى الدين- الذى تحدثت عنه آية [الممتحنة: ٨] ﴿**لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾، فهى تتحدث عن قطاع من المخالفين فى الدين لهم شروط محددة: لا يقاتلون المسلمين فى دينهم- بالفتنة فى الدين أو بالتنصير - مثلا- ولا يخرجون المسلمين من ديارهم- بتهجيرهم أو بانتزاع مقدرات هذه

الديار منهم- ولا يظاهرون ويسارعون على فتنة المسلمين فى دينهم وإخراجهم من ديارهم..

ذلك هو الفقه والفهم لهذه الآيات فى القرآن الكريم.

٤- والنموذج الرابع لما توهمه أصحاب هذه الشبهات تناقضًا بين آيات القرآن، ما رأوه بين ترك المخالفين للإسلام وشأنهم: ﴿**وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ**﴾ [آل عمران: ٢٠] وبين ما سموه «الملاحقة والاضطهاد» الوارد فى آية [النساء: ٨٩] ﴿**وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا**﴾ ..

والناظر -ولو بالحد الأدنى من الفهم- فى هاتين الآيتين لا يجد أى تناقض بينهما.. فالآية الأولى تتحدث عن قطاع من اليهود والمشركين العرب: ﴿ **لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ**﴾ -الذين لا كتاب لهم- الذين لم يسلموا، لكنهم لم يقاتلوا المسلمين ولم يفتنوهم فى دينهم.. وهؤلاء يقول لهم القرآن -على لسان الرسول ﷺ-: ﴿**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾ [الكافرون: ٦].

بينما تتحدث الآية الثانية -آية النساء: ٨٩ -عن المنافقين- الذين هم كافرون يكيدون للإسلام والمسلمين فى الباطن والخفاء- أى أنهم

أخطر من الكافرين المعلنين الواضحين.. وفى هؤلاء المنافقين فصّلت آيات القرآن الكريم، وميزت بين شرائحهم، ولم تضعهم فى سلة واحدة: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً (٨٨) وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا (٨٩) إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً﴾ النساء: ٨٨: ٩٠]..

فالآية الأولى فى المسالمين من الكتابيين والعرب المشركين.. والثانية فى الكفار المنافقين الذين يعملون على رد المسلمين إلى الكفر كى يكونوا -فى الكفر- سواء.. واختلاف الذين نزلت فيهم هذه الآيات ينفى أى تناقض بينها.

٥- وكذلك الحال -فى انتفاء التناقض- بين آية [الأنعام: ١٠٧] ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾.. ومثلها آيات [يونس: ٩٩، ١٠٠] ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٩٩) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ﴾.. وبين

آية [محمد: ٤] ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ﴾.. وآية [التوبة: ٧٣] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾..

فالآيات الأولى- الأنعام: ١٠٧ ويونس: ٩٩، ١٠٠- تقرر مبدأ إسلامياً: أنه لا سلطان ولا إكراه على القلوب فى الاعتقاد.. وأن الرسول ﷺ- مبلغ ومذكر وليس مسيطرًا ولا وكيلا ولا جبارًا..

أما الآيات الثانية-محمد: ٤ والتوبة: ٧٣. فإنها تتحدث عن قتال الكفار والمنافقين المعتدين والمقاتلين للمؤمنين.. ولو أكمل أصحاب هذه الشبهة قراءة آية محمد: ٤ لعلموا أنها تتحدث -بالنص- عن الحرب والمحاربين والقتال والمقاتلين.. ولا تتحدث عن مجرد الذين استحبوا الكفر على الإيمان والضلالة على الهدى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤] وكذلك آية التوبة: ٧٣- نزلت فى جهاد الكفار والمنافقين- والجهاد أعم من القتال والجهاد الكبير هو الجهاد بالقرآن -وليس بالسيف- ﴿وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢].. وهؤلاء الكفار والمنافقون هم الذين تحدثت عنهم الآية التالية فقالت: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾- [أى هموا بقتل الرسول غيلة وهو عائد من غزوة تبوك سنة ٩هـ- ٦٣٠م]- ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ

وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾ [التوبة: ٧٤]. ففى هؤلاء الكفار المنافقين المعرضين -المتصفين بهذه الصفات وأمثالها- والذين هموا بقتل الرسول ﷺ غيلة -جاء هذا الأمر بالجهاد- غير القتالى- إذ لم يقاتل رسول الله ﷺ المنافقين «حتى لا يقال إن محمدًا يقتل أصحابه»!..

وهذا مقام مختلف عن مقام الذين استحبوا الكفر على الإيمان، مع مسالمتهم ومعاهدتهم للمؤمنين.. ﴿إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤].

٦- والمثال السادس فى هذه الشبهة، يتحدث عن تناقض بين «الدعوة بالحسنى»- فى آية النحل: ١٢٥-: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.

وبين ما سماه أصحاب هذه الشبهة «الدعوة بالسيف» فى آية النساء: ٨٤- ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

ولا وجود لشبهة تناقض بين هاتين الآيتين.. فالأولى تتحدث عن الدعوة إلى سبيل الله، التى هى دائمًا وأبدا بالحكمة والموعظة الحسنة وبالمجادلة بالتى هى أحسن.. بينما الآية الثانية تتحدث عن قتال المقاتلين للمؤمنين، المعتدين عليهم، الذين يمارسون ضدهم النكاية والبطن والشدة..

ولو أكمل أصحاب هذه الشبهة تلاوة الآية لظهر هذا المعنى ووضح هذا الفارق.. فالآية تقول: ﴿**فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلاً**﴾.

فالمقام فيها ليس مقام الدعوة إلى سبيل الله «بالسيف» -كما زعم أصحاب الشبهة- وإنما هو مقام قتال الكفار المعتدين والمقاتلين للمسلمين، والذين يمارسون مع المسلمين الكيد والبأس والتنكيل.. والآية قد نزلت فى التحريض على الخروج للدفاع عن المدينة المنورة فى وجه المشركين الذين قادهم أبو سفيان سنة ٣هـ قاصدين غزو المدينة فى موقعة «بدر الصغرى» -للانتقام من «بدر الكبرى» سنة ٢هـ.. أى أنها فى التحريض على الدفاع عن الوطن، الذى أراد المشركون غزوة وهلاك أهله -عسى الله أن يكف بأسهم وكيدهم وتنكيلهم بالمسلمين -وليست فى مقام «الدعوة إلى سبيل الله بالسيف»- كما فهم الجاهلون!.

ثم.. ألا يستحى هؤلاء الذين يتحدثون عن دعوة القرآن إلى الإسلام بالسيف، بينما كلمة «السيف» لم ترد فى القرآن ولو لمرة واحدة.. بينما جاء ذكرها فى كتابهم المقدس بأكثر من مائة موضع!![1].

لقد صدق رسول الله ﷺ عندما قال: «**إذا لم تستح فاصنع ما شئت**» -رواه البخارى وأبو داود وابن ماجة ومالك والإمام أحمد -.. وصدق الله العظيم: ﴿**وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ**﴾ [الواقعة: ٨٢]..

---

(١) انظر [فهرس الكتاب المقدس] طبعة مطبعة الحرية -بيروت سنة ٢٠٠٥م.

الشبهة الثالثة عشرة

تدعى -ويا للعجب!- أن هناك تناقضا- فى القرآن الكريم- بين حديثه عن «غرق فرعون» موسى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠]- ﴿وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا (١٠٢) فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا﴾ [الإسراء: ١٠٢، ١٠٣]- ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٤٠].

تدعى هذه الشبهة وقوع تناقض بين «إغراق فرعون» -الذى تحدثت عنه هذه الآيات- وبين «نجاته»- الذى تحدثت عنه سورة يونس: ﴿آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩١) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾ [يونس: ٩١، ٩٢].

***

● وفى الرد على هذه الشبهة نقول:

إنه من الغريب والعجيب توهم وجود تناقض بين غرق فرعون -الذى تحدثت عنه آيات القرآن.. والذى جاء ذكره فى الكتب السماوية السابقة -وبين «نجاة بدنه»- أى عدم غوصه فى قاع البحر وجعله طعمة

للأسماك.. فلقد أغرق الله فرعـون، وأماته بالغرق فى البحر، ثم نجا بدنه، ليحنط، وليكون آية، عبرة، عظه لمن يأتى بعده من العالمين.

ولقد ظـل بدن فـرعـون موسى -[منذ القرن الثالـث عشر ق.م]- ولا يزال حتى الآن آية وعـبرة، يكتب عنه الآثاريون وعلمـاء المصريات ودارسو تاريخ النبـوات والرسالات.. وسيظل كـذلك إلى أن يشاء الله رب العالمين..

فصدق القرآن الكريم عندمـا تحدث عن «غرقه» وعن «نجاة بدنه».. وصدق الله العظيم.. ولكن القوم لا يعقلون!.

●●●

الشبهة الرابعة عشرة

تدعى أن القرآن الكريم قد وقع فيه تناقض بين قوله: إن الأرض قد خلقت قبل السماء: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ٩-١٢]. ففى هذه الآيات خلق الله الأرض ثم استوى إلى السماء وهى دخان فسواها.

وفى آيات النازعات: ٢٧-٣٢: ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾.. فى هذه الآيات -تقول الشبهة- إن خلق الأرض قد تم بعد بناء السماء.

***

● وفى الرد على هذه الشبهة نقول:

إن مجمل آيات القرآن الكريم نقول: إن الله -سبحانه وتعالى- قد خلق الأرض فى يومين- من أيام الله-.. وأن خلق الرواسى وتقدير

الأقوات فى هذه الأرض قد استغرق ما تم اليومين أربعة أيام- أى استغرق هو الآخر يومين- ثم استغرق خلق السموات السبع وتسويتها يومين، فكان المجموع الكلى ستة أيام من أيام الله -سبحانه وتعالى-..

وأن هذا الخلق قد تم على هذا الترتيب: خلق الأرض.. فخلق الرواسى وتقدير الأقوات.. ثم خلق السموات وتسويتها..

وليس فى آيات النازعات ما يناقض هذا الترتيب.. ذلك أن الذى حدث للأرض -بعد بناء السموات- ليس خلق هذه الأرض.. وإنما هو «دحوها»- أى تهيئتها لسكنى المخلوقات فيها وعليها.

فنى البدء كان خلق الأرض، ولقد تلاه خلق الرواسى وتقدير الأقوات.. ثم بناء السموات -ولقد تم ذلك فى ستة أيام-.. وبعد ذلك دحا الله -سبحانه وتعالى- الأرض- أى هيأها لسكنى المخلوقات..

ولو أن أصحاب هذه الشبهة كانت لديهم أثارة من علم، أو لو كانوا باحثين عن الحق والحقيقة، لرجعوا إلى تفاسير القرآن الكريم التى عرضت لهذا الأمر بالتفصيل.

فنى [مفاتيح الغيب] للإمام الرازى [٥٤٤- ٦٠٤هـ- ١١٤٩- ١٢٠٧م] يقول -فى تفسير آيات النازعات-:

«ظاهر الآية يقتضى كون الأرض بعد السماء.. وفى فصلت: [ثم استوى إلى السماء] وهو يقتضى كون السماء بعد الأرض».

وفى الجمع بين هذه الظواهر -يقول الرازى:

«إن الله تعالى خلق الأرض أولا، ثم خلق السماء ثانيا، ثم دحا الأرض، أى بسطها بسطًا مهيئًا لنبات الأقوات ثالثًا. هذا هو الذى بينه بقوله: [أخرج منا ماءها ومرعاها] وذلك لأن هذا الاستعداد لا يحصل للأرض إلا بعد وجود السماء، فإن الأرض كالأم، والسماء كالأب، وما لم يحصلا لم تتولد أولا المعادن والنباتات والحيوانات»[1].

وعند الإمام محمد عبده [١٢٦٦- ١٣٢٣هـ- ١٨٤٩- ١٩٠٥م] نجد ذات التفسير الجامع بين ظواهر هذه الآيات، وفيه يقول -ما سبق وقاله أيضًا الرازى- من:

«أن البعدية قد لا تكون بعدية الزمان، ولكنها بعدية فى الذكر، وهى معروفة فى كلام العرب وغيرهم، وشاهدها من القرآن الكريم: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم: ١٣].. أى عتل مع ذلك زنيم.. أو أن الذى كان بعد خلق السماء هو دحو الأرض أى جعلها ممهدة مدحوة قابلة للسكنى والاستعمار، لا مجرد خلقها وتقدير أقواتها فيها. وخلق الله وتقديره لم ينقطع من الأرض ولا ينقطع منها ما دامت، وكذلك يقال فى غيرها. وحاصل القول، أن الله تعالى خلق هذه الأرض وهذه السموات التى فوقنا بالتدريج، وما أشهدنا خلقهن،

(١) [مفاتيح الغيب] جـ٣١ ص ٤٥.

وإنما ذكر لنا ما ذكـره للاستدلال على قدرته وحكمتـه وللامتنان علينا بنعمته.. ومن أراد أن يزداد علما فليطلبه من البحث فى الكون»[1].

هكذا ثبت الاتـساق بين آيات القـرآن الكريـم.. وهكذا كـان هذا الاتساق مقررا ومفهومًا فى تفاسير القرآن الكريم -القديم منها والحديث- .. ولو أن لمدعى الشبهات والتناقـضات -بالقرآن الكريم- أثارة من علم لأراحوا واسـتراحوا.. ولكن يبـدو أن الأمر هو أمر من «رمـتنى بدائها وانسلت»!.. فلدى أصحاب هذه الشـبهات -المزعومة والموهومـة- كما تقول «دائرة المعارف البـريطانية»- أكثر من ١٥٠,٠٠٠ (مائة وخـمسين ألف) تناقض فى أقدم مخطوطات الكتاب الذى يقدسون!![2]..

وعلى سبيل المثال:

- ففى مدة طوفان نوح -عليه السلام- نجدها أربعين يومًا وأربعين ليلة -فى سفر التكوين ٧:١٢-.. وفى نفس السـفر نجدها ١٥٠ يومًا - التكوين ٧:٢٤.
- وفى ترتيب خلـق النور -نجـده فى اليـوم الأول- تكوين ١:٥ -ثم نجده فى اليوم الرابع- تكوين ١:١٦-١٩.
- وفى ترتيب خلق الشمس -يقال مرة- إنها خلقت فى اليوم الأول - تكوين ١:٥-.. ومرة ثانية يقال إنها خلقت فى اليوم الرابع -تكوين ١:١٤-١٩-.

---

(١) [الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده] جـ٤ ص ١١٩، ١٢٠ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٣م.

(٢) [دائرة المعارف البريطانية] مجلد ٢ ص ٩٤١.

● وفى ذات السفر -التكوين- نجد أن الحيوانات والطيور قد خُلقت أولا -تكوين ١ : ٢٠-٢٣-. . ثم نجد أن الإنسان هو الذى خُلق أولا، ثم النباتات، ثم الحيوانات والطيور -تكوين ٢ : ٧-١٩-. .

فهل وقفت هذه التناقضات -التى زاد عددها عن ١٥٠,٠٠٠ (مائة وخمسين ألف) -فى ذلك الكتاب «المقدس»- وراء محاولاتهم البائسة واليائسة ادعاء وجود تناقضات فى القرآن الكريم؟!. . وذلك من باب «رمتنى بدائها وانسلت»؟!. إنه السؤال الحامل للجواب!

إن الصدق العلمى للقرآن هو إعجاز شهد به غير المسلمين من العلماء المنصفين. . وكتبت فيه دراسات علمية قارنت بينه وبين الخرافات والتناقضات التى امتلأت بها الكتب المقدسة عند الآخرين.

ولو أن الذين اصطنعوا هذه «الشبهات» قد قرأوا كتاب العالم الفرنسى «موريس بوكاى» [القرآن والتوراة والإنجيل والعلم] لربما خجلوا من هذا الذى تقولوه على القرآن الكريم.

●●●

الشبهة الخامسة عشرة

تدعى حدوث تناقض فى القرآن الكريم -بين كونه [مبينا]: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

وبين كونه قد اشتمل على [المتشابه]: ﴿هُوَ الَّذِى أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧].

●●●

● وفى الرد على هذه الشبهة نقول:

إن «المبين» هو الواضح ﴿وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨] -﴿وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِى ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]- ﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [إبراهيم: ١٠] -﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥] -﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ المائدة: ١١٠] -﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

ولقد نزل القرآن جميعه بلسان عربى مبين -أى واضح للمتدبرين لآياته..

● والمحكم -من القرآن الكريم- هو ما لا يعرض فيه شبهة من حيث اللفظ ولا من حيث المعنى.. فهو واضح...

● والمتشابه -من القرآن الكريم -ما أشكل تفسيره لمشابهته بغيره، إما من حيث اللفظ أو من حيث المعنى.

● وإذا كان المحكم -من القرآن الكريم- الواضح الذى لا يحتاج إلى تأويل آياته وأحكامه ومعانيه -هو أم الكتاب ومعظمه.. فإن المتشابه من آيات القرآن- الذى يرد فيه التأويل- عندما تُردّ ألفاظه -بالتأويل الذى يصل إلى مآلاتها -إلى المحكمات- التى هى أم الكتاب ومعظمه -يصبح هذا المتشابه- بعد تأويله- محكمًا- فيصير كل القرآن الكريم فى الوضوح والبيان سواء.

● وتبقى حكمة ورود المتشابه فى القرآن الكريم، هى: فتح أبواب الفهم والتدبر والغوص وراء المعانى، وتحريك ملكات الاجتهاد فى فقه هذا الذى جاء متشابهًا -فى اللفظ أو فى المعنى أو فيهما معًا- من آيات القرآن الكريم..

ومن ثم، فلا تناقض بين المحكم والمتشابه فى آيات القرآن الكريم.. إذ التأويل للمتشابه، وإدراك مآلاته، إنما يلحقه بالمحكم، فى البيان والوضوح. ولكن بعد إعمال العقل والفكر فى التأويل -الذى هو صناعة الراسخين فى العلم-..

ولقد أبدع الراغب الأصفهـانى [٥٠٢هـ ١١٠٩م] -صاحب الكتاب الفذ [المفردات فى غريب القرآن] -فى تعريف المتشابه.. والتمثيل له.. وفى ذكر أقسامه.. فقال:

«والمشابه من القرآن: ما أشكـل تفسيره لمشابهته بغـيره إما من حيث اللفظ أو من حيث المعنى. فقال الفقـهاء: المتشابه ما لا ينبئ ظاهره عن مراده. وحقيقة ذلك أن الآيات عند اعتبار بعضها ببعض ثلاثة أضرب:

- محكم على الإطلاق.
- ومتشابه على الإطلاق.
- ومحكم من وجه متشابه من وجه.

● فالمتشابه فى الجملة ثلاثة أضرب:

- متشابه من جهة اللفظ فقط.
- ومتشابه من جهة المعنى فقط.
- ومتشابه من جهتهما.

والمتشابه من جهة اللفظ ضربان:

أحدهما: يرجع إلى الألفاظ المفردة، وذلك إما من جهة غرابته، نحو الأبّ ويزفون.

وإما من جهة مشاركة فى اللفظ كاليد والعين.

والثانى: يرجع إلى جملة الكلام المركب، وذلك ثلاثة أضرب:

obeikandl.com

ضرب لاختصار الكلام، نحو ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣].

وضرب لبسط الكلام، نحو ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] - لأنه لو قيل: ليس مثله شيء، كان أظهر للسامع.

وضرب لنظم الكلام، نحو ﴿أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا﴾ [الكهف: ١] -تقديره: الكتاب قيّما ولم يجعل له عوجا. وقوله: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ [الفتح: ٢٥] -.

والمتشابه من جهة المعنى أوصاف الله تعالى وأوصاف يوم القيامة، فإن تلك الصفات لا تُتَصَوّر لنا إذ كان لا يحصل فى نفوسنا صورة ما لم نَحُسُّه أو لم يكن من جنس ما نحسّه.

والمتشابه من جهة المعنى واللفظ جميعًا خمسة أضرب:

الأول: من جهة الكمية، كالعموم والخصوص، ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥].

والثانى: من جهة الكيفية، كالوجوب والندب، نحو ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم﴾ [النساء: ٣].

والثالث: من جهة الزمان، كالناسخ والمنسوخ، نحو ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

والرابع: من جهة المكان والأمور التى نزلت فيها، نحو ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ

﴿بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩] -وقوله ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ [التوبة: ٣٧] - فإن من لا يعرف عادتهم فى الجاهلية يتعذر عليه معرفة تفسير هذه الآية.

والخامس: من جهة الشروط التى بها يصح الفعل أو يفسد، كشروط الصلاة والنكاح.

وهذه الجملة إذا تُصُوِّرت عُلم أن كل ما ذكره المفسرون فى تفسير المتشابه لا يخرج عن هذه التقاسيم. نحو قول من قال المتشابه ﴿الٓمٓ﴾. وقول قتادة: المحكم: الناسخ، والمتشابه: المنسوخ. وقول الأصم: المحكم ما أجمع على تأويله، والمتشابه: ما اختلف فيه.

ثم، جميع المتشابه على ثلاثة أضرب:

ضرب لا سبيل للوقوف عليه، كوقت الساعة، وخروج دابة الأرض، وكيفية الدابة ونحو ذلك.

وضرب للإنسان سبيل إلى معرفته، كالألفاظ الغريبة والأحكام الغَلِقَة.

وضرب متردد بين الأمرين يجوز أن يختص بمعرفة حقيقته بعض الراسخين فى العلم، ويخفى على من دونهم، وهو الضرب المشار إليه بقوله عليه السلام فى على -رضى الله عنه-: «اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل» وقوله لابن عباس مثل ذلك.

وإذ علمتَ هذه الجملة عُلم أن الوقف على قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ

﴿إِلاَّ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧] ووصله بقوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧] جائز، وأن لكل واحد منهما وجها حسبما دل عليه التفصيل المتقدم.

وقوله: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ [الزمر: ٢٣] -فإنه يعنى: ما يشبه بعضه بعضا فى الأحكام والحكمة واستقامة النظر..»[1].

●●●

● ومن العلماء من قال: إن رد المتشابه إلى المحكم لا يكون بتأويله.. وبعبارة الإمام محمد عبده:

«وأما كون المحكمات هن أم الكتاب، فمعناه أنهن أصله وعماده أو معظمه.. أو أنها هى الأصل الذى دعا الناس إليه، ويمكنهم أن يفهموها ويهتدوا بها، وعنها يتفرع غيرها وإليها يُرجع، فإن اشتبه علينا شىء نرده إليها.

وليس المراد بالرد أن نؤوله، بل أن نؤمن بأنه من عند الله، وأنه لا ينافى الأصل المحكم الذى هو أم الكتاب وأساس الدين الذى أُمرنا أن نأخذ به على ظاهره الذى لا يحتمل غيره إلا احتمالاً مرجوحًا.

---

(١) الراغب الأصفهانى [المفردات فى غريب القرآن] ص ٢٥٤، ٢٥٥. طبعة دار التحرير القاهرة سنة ١٩٩١م.

مثـال هذه المتشابهات قـوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] -وقـوله: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفـتح: ١٠] -وقـوله: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١].

وهذا رأى جمهور المفسرين.

وذهب جمهـور عظيم منهم إلى أنه لا متشابه فى القـرآن إلا أخبار الغيب، كصفة الآخرة، وأحوالها من نعيم وعذاب».

والفارق بين تأويل الذين فى قلوبهم زيغ وبين الراسخين فى العلم «أن أهل الزيغ يرجعون بالمتشابه إلى أهوائهم وتقاليدهم، لا إلى الأصل المحكم الذى بُنى عليه الاعتقاد -وذلك على عكس الراسخين فى العلم» [1].

●●●

ولقد طرح الإمام محمد عبده سؤالاً:

- «لم كـان فى القرآن مـتشـابه لا يعلمـه إلا الله والراسخـون فى العلم؟ ولم لم يكن كله محكمًا، يستوى فى فـهمه جميع الناس، وهو قد نزل هاديًا والتـشابه يحـول دون الهداية بما يوقع اللبس فى العـقائد ويفتح باب الفتنة لأهل التأويل»؟؟..

ولقد أورد -الإمام محمد عـبده- أجوبة العلماء على هذا السؤال.. وهى ثلاثة أجوبة:

---

(١) [الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده] جـ٥ ص ٧، ٨.

١- أن الله أنزل المتشابه ليمتحن قلوبنا فى التصديق به، فإنه لو كان ما ورد فى الكتاب معقولاً واضحًا لا شبهة فيه عند أحد من الأذكياء ولا من البلداء لما كان فى الإيمان شىء من معنى الخضوع لأمر الله تعالى والتسليم لرسله.

٢- جعل الله المتشابه فى القرآن حافزًا لعقل المؤمن إلى النظر كى لا يضعف فيموت، فإن السهل الجلى جدًا لا عمل للعقل فيه. والدين أعز شىء على الإنسان، فإذا لم يجد فيه مجالا للبحث يموت فيه، وإذا مات فيه لا يكون حبًا بغيره، فالعقل شىء واحد إذا قوى فى شىء قوى فى كل شىء، وإذا ضعف، ضعف فى كل شىء، ولذلك قال: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ ولم يقل والراسخون فى الدين، لأن العلم أعم وأشمل، فمن رحمته تعالى أن جعل فى الدين مجالا لبحث العقل بما أودع فيه من المتشابه، فهو يبحث أولاً فى تمييز المتشابه من غيره، وذلك يستلزم البحث فى الأدلة الكونية والبراهين العقلية وطرق الخطاب ووجوه الدلالة ليصل إلى فهمه ويهتدى إلى تأويله، وهذا الوجه لا يأتى إلا على قول من عطف [والراسخون] على لفظ الجلالة. وليكن كذلك.

٣- أن الأنبياء بُعثوا إلى جميع الأصناف من عامة الناس وخاصتهم سواء كانت بعثتهم لأقوامهم خاصة كالأنبياء السابقين عليهم السلام أو لجميع البشر كنبينا ﷺ، فإذا كانت الدعوة إلى الدين موجهة إلى العالم والجاهل والذكى والبليد والمرأة والخادم، وكان من المعانى ما لا يمكن

التعبير عنه بعبارة تكشف عن حقيقته وتشرح كنهه بحيث يفهمه كل مخاطب عاميًا كان أو خاصيًا ألا يكون فى ذلك من المعانى العالية والحكم الدقيقة ما يفهمه الخاصة ولو بطريق الكناية والتعريض، ويؤمر العامة بتفويض الأمر فيه إلى الله تعالى والوقوف عند حكم الحكيم فيكون لكل نصيبه على قدر استعداده. مثال ذلك إطلاق كلمة الله وروح من الله على عيسى، فالخاصة يفهمون من هذا ما لا تفهمه العامة، ولذلك فُتن النصارى بمثل هذا التعبير، إذ لم يقفوا عند المحكم وهو التنزيه، واستحالة أن يكون لله جنس أو أم أو ولد. والمحكم عندنا فى هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ [آل عمران: ٥٩].

ومن المتشابه ما يحتمل معانى متعددة وينطبق على حالات مختلفة لو أُخذ منها أى معنى وحمل على أية حالة لصح. ويوجد هذا النوع فى كلام جميع الأنبياء، وهو على حد قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤]. ومنه إيهام القرآن لمواقيت الصلاة لحكمة، وقد بين النبى ﷺ ذلك فى بلاد العرب المعتدلة بالأوقات الخمسة للصلوات الخمس، وما كانت العرب تعلم أن فى الدنيا بلادًا لا يمكن تحديد المواقيت فيها كالبلاد التى تشرق فيها الشمس نحو ساعتين لا يزيد نهار أهلها على ذلك. أشار القرآن إلى مواقيت الصلاة بقوله: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ [الروم: ١٧، ١٨] وسبب

هذا الإبهام أن القرآن دين عام لا خاص بـبلاد العرب ونحوها، فوجب أن يسهـل الاهتداء به حـيثمـا بلغ. ومثل هـذا الإجمال والإبهـام فى مواقيت الصلاة يجعل لعقول الراسـخين فى العلم وسيلة للمراوحة فيه واستخـراج الأحكام منه فى كل مكان بحسبه، فـأينما ظهرت الحقـيقة وجدت لها حكمًا فى القرآن، وهذا النوع من المتشابه من أجلّ نعم الله تعالى، ولا سبيل إلى الاعتراض على اشتمال الكتاب عليه.

﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩]: أى ومـا يعقل ذلك ويفقه حـكـمته إلا أرباب القلوب النيـرة والعقول الكبيرة، وإنما وُصف الراسخون بذلك لأنهم لم يـكونوا راسخين إلا بالتعقل والتـدبر لجميع الآيات المحكمة التى هى الأصول والقواعد، حتى إذا عرض المتشابه بعد ذلك يتسنى لهم أن يتذكروا القواعـد المحكمة وينظروا ما يناسب المتشابه منها فيردونه إليه»[1].

●●●

وقبل الإمام محمد عبـده، عرض الإمام الفخر الرازى للجواب عن حكمة اشـتمـال القرآن الكريم على المحكم والمتـشابه.. وذكـر خمس فوائد لذلك -فى سياق الرد على الملاحدة الذين اعـترضوا على اشتمال القرآن على المتشابهات.. فقال:

«إعلم أن من الملحـدة من طـعن فى القـرآن لأجل اشـتـمـاله على

(١) [الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده] جـ٥ ص ١٠، ١١.

المتشابهات، وقال: إنكم تقولون إن تكاليف الخلق مرتبطة بهذا القرآن إلى قيام الساعة، ثم إنا نراه يتمسك به كل صاحب مذهب على مذهبه، فالجبرى يتمسك بآيات الجبر، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِى آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الأنعام: ٢٥] -والقدرى يقول: بل هذا مذهب الكفار، بدليل أنه تعالى حكى ذلك عن الكفار فى معرض الذم لهم فى قوله: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِى أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِى آذَانِنَا وَقْرٌ﴾ [فصلت: ٥] وفى موضع آخر: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [البقرة: ٨٨]. وأيضًا مثبت الرؤية يتمسك بقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، والنافى يتمسك بقوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]. ومثبت الجهة يتمسك بقوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، وبقوله: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، والنافى يتمسك بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى ١١]، ثم إن كل واحد يسمى الآيات الموافقة لمذهبه محكمة، والآيات المخالفة لمذهبه متشابهة، وربما آل الأمر فى ترجيح بعضها على بعض إلى ترجيحات خفية، ووجوه ضعيفة، فكيف يليق بالحكيم أن يجعل الكتاب الذى هو المرجوع إليه فى كل الدين إلى قيام الساعة هكذا، أليس أنه لو جعله ظاهرًا جليًا نقيًا عن هذه المتشابهات كان أقرب إلى حصول الغرض؟

وأعلم أن العلماء ذكروا فى فوائد المتشابهات وجوها:

الوجه الأول: أنه متى كانت المتشابهات موجودة، كان الوصول إلى الحق أصعب وأشق، وزيادة المشقة توجب مزيد الثواب، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

الوجه الثاني: لو كان القرآن محكما بالكلية لما كان مطابقا إلا لمذهب واحد، وكان تصريحه مبطلا لكل ما سوى ذلك المذهب، وذلك مما ينفر أرباب المذاهب عن قبوله وعن النظر فيه، فالانتفاع إنما حصل لما كان مشتملا على المحكم وعلى المتشابه فحينئذ يطمع صاحب كل مذهب أن يجد فيه ما يقوى مذهبه، ويؤثر مقالته، فحينئذ ينظر فيه جميع أرباب المذاهب، ويجتهد فى التأمل فيه كل صاحب مذهب. فإذا بالغوا فى ذلك صارت المحكمات مفسرة للمتشابهات، فبهذا الطريق يتخلص المبطل عن باطله ويصل إلى الحق.

الوجه الثالث: أن القرآن إذا كان مشتملا على المحكم والمتشابه افتقر الناظر فيه إلى الاستعانة بدليل العقل، وحينئذ يتخلص من ظُلمة التقليد، ويصل إلى ضياء الاستدلال والبينة، أما لو كان كله محكما لم يفتقر إلى التمسك بالدلائل العقلية فحينئذ كان يبقى فى الجهل والتقليد.

الوجه الرابع: لما كان القرآن مشتملا على المحكم والمتشابه، افتقروا إلى تعلم طرق التأويلات وترجيح بعضها على بعض، وافتقر تعلم ذلك

إلى تحصيل علوم كثيرة من علم اللغة والنحو وعلم أصول الفقه، ولو لم يكن الأمر كذلك ما كان يحتاج الإنسان إلى تحصيل هذه العلوم الكثيرة، فكان إيراد هذه المتشابهات لأجل هذه الفوائد الكثيرة.

الوجه الخامس: وهو السبب الأقوى فى هذا الباب -أن القرآن كتاب مشتمل على دعوة الخواص والعوام بالكلية، وطبائع العوام تنبو فى أكثر الأمر عن إدراك الحقائق، فمن سمع من العوام فى أول الأمر إثبات موجود ليس بجسم ولا بمتحيّز ولا مُشار إليه، ظن أن هذا عدم ونَفْى فوقع فى التعطيل، فكان الأصلح أن يخاطبوا بألفاظ دالة على بعض ما يناسب ما يتوهمونه ويتخيلونه، ويكون ذلك مخلوطا بما يدل على الحق الصريح، فالقسم الأول وهو الذى يخاطبون به فى أول الأمر يكون من باب المتشابهات، والقسم الثانى وهو الذى يُكشف لهم فى آخر الأمر هو المحكمات»[1].

***

هكذا استبانت وتستبين الحكمة الإلهية من اشتمال القرآن الكريم على المحكم والمتشابه.. على الواضح، الذى هو أم الكتاب ومعظمه.. وعلى المتشابه، الذى يفتح الأبواب أمام عقول الراسخين فى العلم، ويحفز الملكات والطاقات إلى استخدام العلوم -علوم الوسائل- التى تفتح مغاليق العلم وتعين على استخراج الجواهر والكنوز من القرآن

(١) [مفاتيح الغيب] جـ٧ ص١٦٠، ١٦١.

الكريم دائما وأبدا.. فيظل القرآن الكريم- على مر الدهور واختلاف البيئات، وتنوع الثقافات وتوالى المستجدات والتحديات- السراج المنير لكل ناظر فيه. وصدق رسول الله ﷺ:

«إنه كتاب الله، فيه نبأ ما كان قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم.. وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، الذى لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يَخْلَق على كثرة الرد، ولا تنقضى عجائبه، وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ [الجن: ١، ٢] من قال به صدق، ومن عمل به أُجر، ومن حكم به عدل، ومن دعى إليه هُدى إلى صراط مستقيم»، رواه الترمذى والدارمى.

وصدق الله العظيم:

﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١، ٢].

﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١، ٢٢].

﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الواقعة: ٧٧- ٨٠].

﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٣٧) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [يونس: ٣٧، ٣٨].

﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لاَّ يُؤْمِنُونَ (٣٣) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ [الطور: ٣٣، ٣٤].

﴿ الَمَ (١) تَنزِيلُ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ من رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٢) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ من رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [السجدة: ١-٣].

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٣) فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [هود: ١٣، ١٤].

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣، ٢٤].

●●●

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**
- **الكتاب المقتدس.**

أكرم بلقعيد: «عودة البنوك الإسلامية»- ملحق «لوموندديبلو ماتك»- الطبعة العربية- صحيفة «الأخبار» -القاهرة- فى ٧-١١-٢٠٠٨م-.

البيضاوى: [تفسير البيضاوى] طبعة القاهرة ١٣٤٤هـ-١٩٢٦م.

الرازى -فخر الدين: [مفاتيح الغيب] طبعة دار الفكر -بيروت ٢٠٠٥م.

الراغب الأصفهانى: [المفردات فى غريب القرآن] طبعة دار التحرير - القاهرة ١٩٩١م.

زالمان شازار -محرر-: [تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث]. ترجمة: دكتور أحمد محمد هويدى- تقديم ومراجعة: دكتور محمد خليفة حسن -طبعة المجلس الأعلى للثقافة- القاهرة ٢٠٠٠م.

دكتور عماد الدين خليل: [قالوا عن الإسلام] طبعة الرياض ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

محمد السعدى: [حول موثوقية الأناجيل والتوراة] طبعة طرابلس - ليبيا- ١٩٨٦م.

محمد عبده: [الأعمال الكاملة] دراسة وتحقيق: دكتور محمد عمارة -طبعة دار الشروق- القاهرة ١٩٩٣م.

دكتور محمد عمارة: [الغرب والإسلام: تاريخ من الغزو والتزييف وغواية الأقليات] طبعة مكتبة وهبة- القاهرة ٢٠١١م.

محمد فؤاد عبد الباقى: [المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم] طبعة دار الشعب -القاهرة ١٣٧٨هـ.

دكتور مو نتجمرى وات: [الإسلام والمسيحية فى العالم المعاصر]. ترجمة: دكتور عبد الرحمن عبد الله الشيخ- طبعة مكتبة الأسرة- القاهرة ٢٠٠١م.

موسوعات:

[دائرة المعارف البريطانية]

[فهرس الكتاب المقدس] طبعة بيروت ٢٠٠٥م.

●●●

obeikandl.com